مفهوم النص

- **استعمال كلمة نص في اللغة اليومية**

قبل أن نتناول المفهوم اللغوي للنص نريد أن نوضح بإيجاز ما يفهم تحت" نص "في اللغة اليومية. فالتأمل في الاستعمال اللغوي مهم للاشتغال العملي بالنصوص، فيتعلق الأمر في لسانيات بوصف الشروط العامة لتكوين النص وتلقيه، التي يمتلكها دون وعي الشريك اللغوي الأساسي في مواقف تواصلية معينة على وجه العموم. وبذلك يمكن أن يقدم التحديد، سواء أفهم تتابع قائم من وحدات لغوية كجمل تقريبا في التواصل اليومي بأنه نص أو تراكما غير مترابط أو حتى لا مغزى له، من الجمل، يقدم إشارات إلى القواعد الأساسية للتنصيص .يميل المتلقي إلى أن وصف جزافي، حين يتتابع الكلام تتابعا مكانيا أو زمانيا، ومن خلال مسميات محض خارجية، مستقلة بعضها عن بعض أو نصوص مفردة .غير أن ذلك لا يعني أنه أي توال جزافي من الجمل يقبل على أنه نص .

لا يصف مصطلح" لا نص "قيمته معطاة موقفيا. فهل يعزي التماسك إلى بناء لغوي أمر لا يتوقف على بنيته فقط، بل يتعلق بوجه عام على كفاءة فهم المتلقي أو تفسيره أيضا. ففي

الواقع توجد معايير التماسك؛ وعذر لسانيات النص قبل أي شيء ومن هذه المعايير،

٢ -مفهوم النص ومن المفيد - للكشف على نحو أكثر دقة عن أي الخواص التي يجب أن تكتشف بشكل أدق للبناء اللغوي حتى يوصف في اللغة اليومية بأنه نصي - أن يختبر: في أي سياقات أو استعمالات لغوية يستخدم لفظ" نص "وتسجل معاجم اللغة المعاصرة طرائق الاستعمال الآتية "للنص:

-نص طويل، مطبوع، أن يتلو نصا، أن يلقيه، أن يحفظه، أن يصوبه، أن يمر عليه سريعا، أن يعلق عليه، أن يغيره، أن يكمله، أن يحرفه ، أن يترجمه ...

-أن يطبع النص الكامل لخطابه، أن يقرأه، نص محاضرة، برقية، مسرحية... - أن تكتب نصوص حول الرسوم به- أن يعظ عبر نص . نص أغنية، أوبرا ...

ويبين ذلك الحشد أن الاستعمال اللغوي اليوم الكلمة" نص "غير موحد كلية، إذ يمكن أن تتحدد دلالات عدة للكلمة، مثل البناء اللغوي المكتوب لامتداد محدد"، و"النص الحرفي"، و"التوضيح اللغوي أو الكتابة الموضحة "توقيع على صورة، و"موضع في كتاب مقدس"، و"جزء لغوى من عمل موسيقى ."بيد أن المعنى المحوري يمكن أن يعد بلا شك" :النص هو وحدة لغوية محددة كتابيا تضم في العادة أكثر من جملة وعلى نحو ما أوضح التتابع الجملي او لا يمكن في الواقع أن يوضح ذلك التحليل اللغوي للنص بأنه في اللغة اليومية لا يوصف إذن تتابع جملى بأنه نص إلا حين يمكن أن يفسر بأنه مترابط وبأنه متماسك من الناحية المضمونية. الموضوعية. وبذلك يجب أن تعد سمة التماسك (بمفهوم مضمونى) أساسا للمفهوم اللغوي اليومي .

- **المفهوم الاصطلاحي للنص:**

في لسانيات النص توجد تعريفات مختلفة للص؛ ولا يوجد حتى الآن تعريف مقبول بوجه عام. والسؤال أيضا هل يمكن عموما أن يطور مفهوم صحيح بوجه عام للنص، يجيز أن يحدد ما يجب أن يعد نصا في جميع الأحوال، فتحديد موضوع فرع علمي لا يتحدد من خلال خواص الموضوعات (في الواقع) فحسب، بل إنه يتبع قبل أي شيء أهداف الدراسة المعنية للعلماء أيضاء وربما لا يلائم تعريف مطلق للنص تلك التبعية المتبادلة بين وضع الهدف وتحديد الموضوع عند بناء نظرية ما ملاءمة وافية .

ويمكن بنظرة إجمالية أن يفرق بين التجاهين رئيسيين للسانيات النص، طورا دون شك أهدافا متباينة، ولذلك أيضا يحددان موضوع البحث فيها وهو النص " تحديدا متباينا .

- **مفهوم النص القائم على أساس النظام اللساني**

تطور الاتجاه الأول من الناحية التاريخية أيضا للسانيات النص استنادا إلى مفهوم النص في اللسانيات البنيوية وفي النحو التحويلي التوليد. تعرف تلك الاتجاهات البحثية اللغوية النظام اللغوي اللغة Langueالكفاءة اللغوية بأنه موضوع بحثها المميز، ويفهم تحت ذلك الامتلاك اللغوي لمجموعة ما نظام العناصر والعلاقات للغة بعينها، باختصار: النظام القاعدي للغة ماء الذي يعد أساس الاستعمال اللغوي الكلام parole والانجاز ، بوصفه كما لا نهائيا من الناحية النظرية من أفعال الكلام والفهم المعينة، الأبنية اللغوية التي تنتجها (المنطوقات، والنصوص)، وينظر إلى أن مهمة اللسانيات الكشف عن النظام اللغوي المعين بتطبيق مناهج مناسبة (بين ـ

ذاتية) (طرئق تحليل وعمليات) لسانيات بنيوية ، أو وصف الكفاءة اللغوية الداخلية للمتكلم - المستمع النموذجي بلا تفريق، أي فيما يتعلق بجوانب التواصل النحو التحويلي التوليدى.

وفي داخل هذه الاتجاهات اللسانية التي لم تحدد معالمعالمها هنا إلا بوجه عام للغاية تعد الجملة لعقود طويلة أعلى وحدة محورية لغوية. ولا تركز اللسانيات البنيوية تقريبا إلا على تحليل بنية الجملة ووصفها، ولا سيما على تجزئة وحدات لغوية وتصنيفها داخل مستوى الجملة (وهي أركان الجملة، والمورفيات، والفونيمات)؛ وتحدد اللسانيات التحويلية التوليدية موضوعه بأنه قدرة المتكلم الاصلي للغة ما على بناء عدد كبير غير محدد من الجمل وفهمه، ويفترض في ذلك الشكل ذاته لنظام قاعدي، أنه ينبغي أن" يولد "كما لا نهائيا من جمل لغة ما .

ولم يبدأ نقد أساسي إلى ذلك الاقتصار للبحث اللساني على مجالات الجملة إلا مع نشوء ما يسمى بلسانيات النص في منتصف الستينات وساد النظر إلى أن" أعلى وحدة لغوية وأشدها استقلالا"، و"العلامة اللغوية الأساسية "ليست "الجملة"، بل " النص ."ولذلك يجب أن يتوجه التحليل اللساني بشكل أقوى مما هو قائم حاليا إلى" النص وفي الحقيقة لا برتبط بهذا الطلب تغير جوهرى للأسس السارية الخاصة بالنظرية اللسانية. فلسانيات النص يفهم (مثل لسانيات الجملة من قبل بوضوح بأنه لسانيات خاصة "اللغة Langue أو بالكفاءة اللغوية. وقد وسع بوجه خاص تدرج وحدات النظام اللساني المفترضة فيما مضى (وهي الفونيم والمورفيم الكلمة، وركن الجملة، والجملة حتى وحدة" النص ."

ويفهم من ذلك صراحة أن النظام القاعدي للغة لا يوجه بناء الكلمة وبناء الجملة فحسب، بل بناء النص أيضا (تكوين النص)، ويؤسس على أوجه اطراد عامة يفسرها النظام اللغوي .ويجعل لسانيات النص القائم على النظام اللساني هدفه اكتشاف تلك المبادئ العامة ووصفها وصفا منظما، وهو يرجع في ذلك سواء من الناحية النظرية - المفهومية أو المنهجية إلى حد بعيد إلى تحديدات لسانيات الجملة ذات الأصل البنيوي أو التوليدى - التحويلي .ويعبر عن هذا الترابط بوضوح خصوصا في مفهوم النص :فيعرف" النص"بأنه تتابع متماسك من الجمل، غير أن هذا يعني أن الجملة كما كانت الحال من قبل ينظر إليها على أنها" ملم رئيسي "في تدرج وحدات لغوية؛ أي تعد وحدة بناء النص والنتيجة الأهم لهذا التصور هو أن مفهوم التماسك النصي المركزي بالنسبة للسانيات النص قد فهم فهما نحويا محضا، فهو لا يسم في هذا الاتجاه

البحثي اللساني النصي إلا العلاقات النحوية- الدلالية بين الجمل أو بين عناصر لغوية مفردات، وضرائم... إلخ في جمل متعاقبة .

- **مفهوم النص القائم على أساس التواصل**

يعيب الاتجاه الثاني لسانيات النص الذي نشأ في مطلع السبعينات - (نريد أن نطلق عليه " لسانيات النص الموجه على أساس نظرية التواصل - "على الاتجاه الأولى بأنه يظهر مجال موضوعه بمظهر مثالي للغاية من حيث إنه يعالج النصوص بوصفها موضوعات مستقلة، ثابتة، ولا يراعي بشكل كافي أن النصوص متضمنة دائما في سياق التواصل، وأنها توجد دائما في سياق التواصل وأنها توجد دائما في عملية تواصل معينة، يمثل فيها المتكلم والسامع أو المؤلف والقارى بشروطهم وعلاقتهم الاجتماعية والموقفية أهم العوامل

ويتطور علم لغة النص الموجه على أساس نظرية التواصل مستندا إلى البراجماتية التي تحاول أن تصف وتشرح شروط الفهم اللغوي الاجتماعي بين شركاء التواصل في جماعة تواصيلة معينة، وترتكز في ذلك من ناحية نظرية اللغة بوجه خاص على نظرية الفعل الكلامي المتطورة داخل الفلسفة اللغوية الأنجلو ساكسونية (ج. لي. اوستن، وج. ر. سيرل). وفي إطار منظور براجماتى خاص بنظرية الفعل الكلامي لم يعد يظهر النص على أنه تتابع جملى مترابط نحويا، بل على أنه فعل لغوى معقد، يحاول المتكلم أو الكاتب به أن ينشئ علاقة تواصلية معينة مع السامع أو القاري). وهكذا تستفسر لسانيات النص عن الأغراض التي يمكن أن تستعمل فيها نصوص في مواقف تواصلية، أو استعملت فيها فعلا أيضا؛ بإيجاز: إنه يدرس الوظيفة التواصلية للنصوص. وتحدد الوظيفة التواصلية خاصية الفعل لأي نص؛ وهي تسم - تصوغ بشكل ما يزال مؤقتا للغاية - نوع الاحتكاك التواصلي، الذي يعبر عنه الباث (أي المتكلم أو الكاتب) (بالنص صوب المتلقي (على سبيل المثال مبلغا أو مستشيرا إياه)؛ وهكذا فهي تهب النص "معنى "تواصليا معينا .

إن ربط مفهوم النص بالمفاهيم التداولية "الفعل الكلامي "أو" الوظيفة التواصلية "يجعل من الضروري أن يوضع التفريق بين اللغة والكلام أور يين الكفاءة اللغوية والأداء اللغوى موضع مراجعة اساسية .فقد وسع الآن مفهوم النظام اللغوي أو الكفاءة اللغوية، مثلما هو ما يزال مميزا للمرحلة الأولى من علم لغة النص القائمة على أساس النظام اللغوي، إلى مفهوم للكفاءة اللغوية التي عرفها د. فوندرليش D. Wunderlich بأنها كفاءة المتكلم في الدخول بمساعدة

منطوقات لغوية في تواصل، وتبعا لذلك تضم الكفاءة التواصلية الأبنية والقواعد التي تعي تنشيط الكفاءة اللغوية في سياقات تواصل محددة .

ولا تستطيع هنا أن تستمر في متابعة النقاش المتعدد الجوانب حقا حولي مفهوم الكفاءة التواصلية. فلا يمكن أن توصف وأن توضيح العلاقة بين الكفاءة اللغوية والكفاءة التواصلية وصفا و توضيحا كافيين إلا في إطار نظرية كلية للفعل التواصلي. وما تزال تلك النظرية الممكنة القائمة على أساس متداخلى الاختصاصات غير قائمة، فحتى الآن لا يوجد حوله ذلك إلا سلسلة من الطرائق البحثية الشديدة الاختلاف في بعض منها. غير أنه قد صار واضحا في أثناء ذلك أن مجرد توسيع إضافي للسانيات النص الموجه على أساس النظام اللساني ليضم مكونا اتصاليا - براجمانيا لم يفضي إلا بالكاد إلى نموذج لغوى نص كاف للوصف. وأدمجت على الأرجح نماذج النص الموجهة على أساس النظام اللساني في النهج البحثي التداولي أو المتعلق بنظرية الفعل. إذن يعزي للنهج التداولي داخل عملية البحث الكلية التحليل النص أهمية غالبة باعتبار أنه يمثل الجانب الأشمل للسانيات النص، ويمكن أن يبين عرض عابر لمجرى إنتاج النص أن اختيار الوسائل اللغوية (الجانب النحوى)، و بسط موضوع أو موضوعات نص ما أيضا في الجانب الموضوعي (يوجه توجيها تواصليا ، أي يحدد القصد التواصلى للباث وعوامل الموقف الاجتماعي أيضا، مثل الإطار المؤسسي، وطبيعة العلاقة بين المشاركين فيه) كعلاقة الأدوار، ودرجة المعرفة فيها بينهم وتقدير المشاركين) كالافتراضات حول معرفة المتلقي وأساس القيمة لديه .... (إلخ. وما تزال هذه العلاقات غير واضحة إلى حد بعيد

- **المفهوم التوفيقي للنص**

لا يعد الموقفان الأساسيان للسانيات النص اللذين سبق تقديمها، وهما النهج القائم على أساس النظام اللساني، والنهج الوجه على أساس التواصل، تصورين بديلين، بل متكاملين، ويتصل بعضها ببعض إتصالا وثيقا .ويتطلب تحليل لساني كاف للنص مراعاة كلا الاتجاهين البحثيين، حيث يجب أن يشكل النهج التداولي - الاتصالي - كما وضح من قبل - الأساس المحوري النظري - المنهجي .

هذا الفهم لا يضع في حسابه إلا مفهوم النص الذي يمكن من وصفه النص على أنه وحدة لغوية وتواصلية في الوقت نفسه. ويطابق التعريف الآتي للنص ذلك الشرط :يسم المصطلح

"نص "تتابعا محدودا من علامات لغوية متماسكة في ذاتها، وتشير بوصفها كلا إلى وظيفة تواصلية مدركة .

يتضمن هذا التعريف سلسلة من التحديدات التي تفتقر إلى مزيد من الإيضاح

فمن الناحية اللسانية توصف وحدة النص "بأنها تتابع من علامات لغوية .

وأساس ذلك التحديد هو مفهوم دي سوسير للعلامة اللسانية بأنها وحدة ذات وجهين؛ بأنها ربط محكم بين" "Signifie" مدلول، معنى، مضمون "و""Significant "دال، شكل، تعبير ."نحن نفرق بين علامات لسانية أساسية بسيطة مثل المورفيات، وإلى حد ما المفردات أيضا وبين علامات معقدة مثل الضمائم المركبات والجمل. وينظر إلى الجملة على أنها أهم وحدة بناء للنص ولذلك لا ينبغي أن يقال إن أبنية لغوية أصغر أيضا مثل المنطوقات المكونة من كلمة واحدة، مثل :حريق !والنجدة! أو منطوقات مكونة من جملة واحدة مثل :ممنوع الدخول إلى موقع البناء ! في إطار شروط موقفية محددة للغاية لا يمكن أن تقوم بوظيفة النصوص "بالمعنى التواصلي، غير أن تلك الأبنية بغض النظر عنها فيما يأتي؛ فلسانيات النص تهتم في المقام الأول بالنصوص التي يظهر فيها درجة أعلى من التعقد سواء من الناحية النحوية أو من الناحية الموضوعية. وبذلك تشكل النصوص التي تتحقق بوصفها تتابعات من جمل، في الأساس مجال موضوع التحليل اللساني للنصوص حول تعريف وحدة الجملة.

ومع التحديد القائل بأنه لا يطلق" نصوص "إلا على علامات أو تتابعات جملية متماسكة يكون المفهوم السابق الذكر للتماسك النصي Text coherence قد قرر، وهو المفهوم الذي يؤدي دورا محوريا في النقاش الحالي للسانيات النص بيد أنه قد استخدم في الغالب إلى حد ما استخداما عاما، ولم يحدد تحديدا دقيقا .وفيما يأتي سنفرق بين شروط التماسك التحوى وشروط التماسك الموضوعي .

ومن الناحية التواصلية توصف، وحدة النص من خلال مفهوم الوظيفة التواصلية، الذي يقوم على الفعل الإنجاز في نظرية الفعل الكلامي أوستن وسيرل، وفوندرليش ويقيد مفهوم الوظيفة التواصلية (وظيفة النص) مفهوم النص الموجه نحويا النص تتابع متماسك من الجمل في المرحلة الأولى من لسانيات النص، وينظمه في الوقت نفسه في تصور أساسي للغة على أنها أداة التواصل أو الفعل .ويمكن خلف ذلك الفهم الذي مفاده أن تتابعا جمليا متاسكا، أي أنه مترابط

نحويا ومضمونا في حد ذاته، لا يفي بعد بمعيار النصية الذي لا يحدث إلا من خلال الوظيفة التواصلية التي تبقى على ذلك التابع الجملى داخل موقف التواصل وينبغي أن يتناول مفهوم وظيفة النص في الفصل الرابع بتحليل أكثر دقة يشير التحديد القائل إن النصوص تمثل تتابعات جملية محدودة إلى ما تسمى إشارات تحديد النص. والأمر في ذلك يدور حول وسائل لغوية، وغير لغوى معينة، ومن الإشارات اللسانية لبداية النص أو نهايته على سبيل المثال العناوين وعنوان الكتاب وصياغات معينة للتمهيد والاختتام. ومن الوسائل غير اللغوية تذكر بوجه خاص مواضعات الصفة الطباعي حجم الحروف مع العناوين ومقدار الأسطر الفارغة... إلخ(، وكذلك الوقفة الكلامية المقصورة على نصوص منطوقة وهي في الواقع ليست واضحة دائما كمعيار للفصل .وهكذا

فإن إشارات تحديد النص هذه وغيرها تسم تتابع العلامات أو التتابعات الجملية التي تمتلك بالنسبة للباث خاصية الاستقلال والإتمام، وبإيجاز :التي يرغب في أن يدركها على أنها نصوص .

وحين نقارن أخيرا التعريف المقترح للنص بالمعنى اللغوي اليومي للنص فإنه ينتج عن ذلك الملحوظتان الآتيتان :

-خلافا للاستعمال اللغوي اليومي لا يصف مصطلح" نصي "في اللسانيات بناء لغويا مكتوبا (متشكل كتابة) فحسب، بل منظوقات شفوية أيضا .وفي الواقع حصل في ذلك تقييد من جهة اتجاه التواصل :فالتحليل اللساني للنص يعني بالنص الحورای الذاتي المونولوجي) خاص كاتب أو متكلم .وعلى النقيض من ذلك تدرس الأبنية الحوارية الثنائية (المحادثات بدرجة أقل داخل علم لغة النص، وتدرس بالأحرى في إطار فرع تغوى جديد، يسمى تحليل الحوار الثنائي أو المحادثة). وهذا التقييد بالنص الحواري الذاتي في صورة مكتوبة أو شفوية) تسوغه ضمن ما تسوغه الأسباب الآتية: خلاقا لنص الحوار الذاتي تشكل المنطوقات المكونة من عدد من المشاركين في التواصل فقط مع الحوارات الثنائية أو المحادثات عادة بنية لسانية متماسكة. غير أن مفهوم الوظيفة التواصلية الذي يعد أساس تعريف النص المقترح يتعلق أساسا بالمتكلم أو الكاتب المفرد، بحيث يبدو تطبيق مفهوم النص على التواصل الحورای الثنائي إشكاليا على الأقل .

فالتركيز يكون على نصوص حوارية ذاتية متشكلة كتابة -بغض النظر عن بعض استثناءات حيث تتصدر النصوص غير الأدبية؛ ما تسمى نصوص الاستعمال العادى.

-يؤكد تعريف النص المقدم أعلاه بصورة أقوى على الجانب التواصلى؛ غير أن ذلك قد اشتمل عليه في الاستعمال اللغوي اليومي للنص بصورة ضمنية على الأقل، لأنه في اللغة اليومية أيضا لا تسمى نصوصا إلا تلك التتابعات الجملية التي يمكن أن يلحق بها صاحب اللغة"معنى " تواصليا .